الشنجيطي

قال لي صديق أديب ـ وقف على بعض ما كتبت ـ :
وما ذا عساك تقول في الشاعر الشنجيطي وهو ممن جمع بين اللغتين العربية والافرنسية وتثقف في الديار الشرقية وتوفر على اللغة العربية بجميع ما فيها من أسرار وله من الاطلاع حظٌّ كبير يعرفه من قرأ نظمه ونثره وسمع دروسه في الرباط يوم كان يحرّر السعادة ؟ وهذا حقٌّ لا ينكره الا جاحد وربما كنت أحد من سمع الدروس وقرأ بعناية تلك الفصول ، ولكن ما كلّ كاتب يسلم من العثرات وليس كلّ شاعر معصوماً من الهفوات ، ونحن إذا تجرّأنا على شعرائنا وانتقدنا شيئاً فانما نريد الاصلاح ما استطعنا وننكر عليهم موقف الجمود ، ومحاكاة القدماء ومماشاة العصور الدابرة في كلّ شيء ، ألسنا نرى السيد الشنجيطي في قصيدته العيدية المتأخرة يمهد بالنسيب فأخذ من القصيدة ثلثها ليتخلص للموضوع المقصود وقد نفر الناس من هذه العادة وسئموا متابعتها وصارت منبوذة لانها لا تفصح عن عاطفة صادقة ولا تترجم عن إحساس شريف ، وفي الشرق اليوم ادباء يحاربون هذا الادب المائع المخدّر للاعصاب والقاتل للشعور ، ونحن أشدّ ما نكون حاجة الى الشعر المؤثر في النفوس والحافز للهمم الخالي من الكلفة والصناعة ، ومعلوم بالبداهة أن التمهيد بالنسيب كان عادة شعراء العصر الجاهلي وقلدهم فيها من تبعهم ولهم ما يكفي من العذر فقد كانوا يتجسمون وعثاء السفر ومشاق التنقل ويقطعون على ظهور الابل المفاوز البعيدة والمسافات الشاسعة ويقصدون الملوك والامراء يبتغون الحظوة لديهم ونيل الصلة منهم ويصفون في اشعارهم ما تحملوه من البعد عن الاهل والاحباب وما فعل بقلوبهم الشوق والحنين وألم الهجرة وترك الديار فاذا شكوا فتلك هي العاطفة الغلابة يفيض بها القلب ويترجم عنها الشعر ، وإذا حنوا فعن وجدان لا مبالغة فيه ولا كذب ، وقد بقيت هذه العادة جارية في كل عصر ومتغلبة على شعرائنا فلا تفتح ديواناً قديماً الا وتجد كل قصيدة قد أخذ منها النسيب شطراً كبيراً ، وهذا ما حدا بأبي الطيب المتنبي المتمرّد أن يثور على هذه العادة ويخالف المعهود في قصيدة له يمدح بها سيف الدولة حيث يقول :

اذا كان مدح فالنسيب المقدّم
أكل فصيح قال شعراً متيم ؟

لقد صدق والله فكل شاعر يتتيم حتى لم ندر الصادق منهم من الكاذب وفقدنا كل ثقة في هذا الضرب وأنكرنا كل ما صدر عنهم في هذا الباب ، حتى شاعرنا المثقف وهو ابن القرن العشرين لا يتورع أن يقول في مطلع قصيدته :

آه له من عميد طالما صبرا
جمر الغضا في حشاه يرتمي شررا
اذا تألق برق من بشائره
جاءت زعازعه تزجي له كدرا

وفي بقية أبيات نسيبه لا يزال يحنّ ويئن ومضى يشكو التصبر حتى كاد يقتله ، فاسألوا عنه النجوم والليل واسألوا المهللين والسحر فان كبده انشقت وانفطرت وكادت تذوب وأين ينتهي من مر الشكوى وحرّ اللوعة يتخلص ببيت لا صلة له مع ما قبله ولا يمت اليه بسبب وهناك تقف بك الكلفة الواضحة متأملاً في الخلط والخبط كيف يكونان !

وما موجب التشبيب ؟ أليس سوى عقم الفكر

ونضوب القريحة وعجزها عن الخلق والابتكار وايجاد المعنى الدقيق ؛ . أما ان كان صادقاً في تشبيبه فاني اتوجع له وارثي لصبوته بعد الخمسين او تزيد ، واعيذه من الهيام والشيب وخط لحيته والشيخوخة اوشكت ان تاخذ منه مأخذها وتفعل فيه فعلها كما شهد على نفسه بقوله وهو الصادق:

وقلت هذا الهوى الممقوت ضيعني
أما الرجيم فلا تسأله كيف جرى
والنفس تامرني واللهو يبطرني
والشيب ينذرني يارب انت ترى
لما احل برأسي قلت مزدريا
الشيب في الرأس لا يستلزم الكبرا
فانحط في عارضي يمشي الى ذقني
وان في اللحية الشمطاء لي نذرا

ونحن نهمس بتواضع في اذن شاعرنا اللغوي ان الصواب في البيت الثالث « حل » فان احل معناها وجب او خرج ولعلها سبق قلم لو يسمح بذلك الوزن البسيط ، ولو قال ألمّ لاستقام له الوزن والمعنى .

وبعد فليس لدينا من شعر أديبنا الشنجيطي ما يكفي عرضه امام القارئ لاخذ صورة عنه تفي بالغرض المقصود سوى قصيدة في الهجو المقذع نستحي من عرضها ونشرها وقد رجعنا الى كتاب الادب العربي في المغرب لنستفيد منه حديثاً ونستقي منه قطعاً من الشعر فلم نجد له هناك ذكراً ولا نعلم أأحجم عن نشر شعره في الكتاب استكباراً ام موعده الجزء الثالث ، ومع هذا فقد عثرنا في مسامرة زميله القباج على قطعة في وصف مكناس لانرى مانعاً من اتحاف القراء بها لنرى دقة وصفه وبراعة تصويره وهي:

لله لله ما أبهاك مكناس
ارض هي الارض بل ناس هم الناس
بها القصور وأسوار مشيدة
كالراسيات وأبراج وأقواس
تجسم الفخر في تلك المعاقل والجـ
ـلال والعزم والسلطان والباس
وماؤها السلسبيل العذب باكره
ريح هو المسك انفاس بانفاس

هكذا شاء ان يصف بلدة كمكناس جمعت من المثاثر التاريخية ما يحرك الفكر ، وفيها من بدائع الزخرفة ومعجزات الفن ما يدعو الشاعر للقول ويوحي اليه من دقة التصوير آيات ويفيض عليه من البيان والخيال معجزات ولكنه لم يوفق ، ويظهر انه لم يقل شيئاً ولم يزد على ان ارضها هي الارض وناسها هم الناس ! ! وفيها القصور والاسوار كالراسيات وماؤها عذب كالسلسبيل ! ! وأي شعر هذا مع الاقواء الظاهر في القافية الاخيرة ، وأي وصف هو لو اردنا ان نقيسه بالوصف الشعري الذي يعرفه حتى تلاميذ المدارس ويستظهرونه من محفوظاتهم ولا يزيد هذا ولا يفضل شعر صاحب هذا البيت:

الليل ليل والنهار نهار
والارض فيها الماء والاشجار

وان تعجب فعجب من الشاعر المطبوع يستحسن تلك الابيات ويقدم على تشطيرها عن سخاء فيقول:

لله لله ما أبهاك مكناس
خصب ورخص واغراس واعراس
مكناس ما نظرت عيني نظيرتها
ارض هي الارض بل ناس هم الناس
بها القصور واسوار مشيدة
شتى وفيها من الاكياس اجناس

وبين ساحتها الآثار ثابتة
كالراسيات وابراج واقواس
تجسم الفخر في تلك المعاقل والـ
جميل للفخر قلب والندا رأس
والمجد فيها مقيم والمهابة والـ
جلال والعزم والسلطان والباس
وماؤها السلسبيل العذب باكره
ريح الصبا وهواه الخمر والكاس
ما مر منها امرء الا ومر به
ريح هو المسك انفاس بانفاس

حقا انه لوصف سطحي وذوق الشاعرين واحد والصلة بينهما معروفة كونها البيئة والوسط ووحدة الاتجاه في الشاعرية والتفكير ، وابيات شاعرنا الشنجيطي كاطلال خربة متهدمة فجاء التشطير كترميم لها ولكن الترميم لم يكن سوى حجارة وطوب واكداس من التراب فهي كما يقول الشاعر خلو من الجمال براء او ان شئت سمها بالمثل الدارج المشهور خبز وزيتون ومغفرة .

ونحن قبل ان نودع الشاعر لتناول غيره وهم كثير ننصح له ان يراعي ذوق العصر ويحرص على سمعة المغرب الادبية من أن يقرأ ادباء مختلف الجهات مثل هذا الضرب من شعر الهذيان والحشو ، وقبل ان يخرج قصيدته للطبع والنشر يجب ان يذكر ما ستحدثه في الاجواء الادبية ويكون لها من اثر ، والشعر بمثابة شاهد على ما وصل اليه القطر من رقي وتهذيب او عبث وسخف ، ونحن نبرأ الى الله من العبث ونعيذ الشعر والشعراء من الفهاهة والهذيان ولغو القول .

(ابن عباد)

نابغة بفاس

إن الموسيقى ضرورية للانسان في كل زمان وفي كل مكان وهي وإن لم تكن بماسة الحاجة في جميع الاوقات كالضروريات الاخرى فانه لابد للانسان منها في بعض الاحيان ، على أن الضروريات الاخرى مثل الاكل والشرب انما نحتاج اليها في حالة واحدة هي حالة الجوع أو حالة العطش . أما الموسيقى فلا غنى للانسانية عنها في حالتي سلمها وحربها وفرحها وحزنها ودينها ولهوها ، وليست الموسيقى مجرّد فنّ فقط بل هي فنّ وفوق الفنّ لان سائر الفنون الاخرى تحتاج الى ثقافة ما خصوصية تهيئ صاحبها الى الاهتداء لمواضع الحسن وملامح الجمال أما الاعجاب بالموسيقى والتأثر بها وحبها فذاك طبيعة في الانسان وغريزة من غرائز النفوس العميقة التي لا يمكن استئصالها ويبدو ذلك جلياً لمن يراقب حالات الاطفال حتى في إبان الرضاع فانهم إذا سمعوا أي موسيقى هشوا وبشوا وتحرّكت أعضاءهم من تأثير ما طرق سمعهم مندفعين الى ذلك بداهةً من غير محاكاة ولا اقتداء بمن هو أكبر منهم سناً ، وليس هذا التأثير وهذا الاعجاب بالموسيقى مقصورين على الانسان وحده بل يشترك فيهما الانسان والحيوان كما ذلك معلوم عند جميع الناس بالمشاهدة أو السماع .

لا نعني بهذا أن كل نوع من أنواع الموسيقى يعجب سائر الناس على الاطلاق بل تختلف الاذواق باختلاف المدنيات والاقاليم والاجيال فتوجد أمم يبلغ بهم الرقيّ بحيث تكون لهم قابلية على تذوّق كثير من أنواع الموسيقى كما توجد أيضاً أمم متوحشة يعنيها ابن الرومي بقوله :